ثالثًا: كيف يدعو الله[١]

عادةً ما يكون نداء الله داخليًّا. فالله هو الّذي، من الدّاخل، يوحي إلى النّفوس بالرّغبة في اعتناق حالةٍ عالية وسامية كتلك الّتي لِلحياة المكرّسة. يُمكننا التَّعرُّف على خطوتين.

أ) الله يجعلنا نعرف خير الحالة الرُّهبانيّة

هناك من يقولون إنَّه، لكي تكون هناك دعوة حقيقيّة، يجب أن تتمَّ دعوتهم بطريقة مُباشرة بفم الرَّبِّ، بطريقة غير عاديّة، كما حدث عندما دعا بطرس أو أندراوس، وحينئذٍ لا يجب التّأجيل ويتعيَّن الدُّخول في الحال. ولكن عندما يُدعَى الإنسان فقط في الدّاخل، حينئذٍ يكون ضروريًّا التَّشاور المُطوَّل ونصيحة الكثيرين لِمعرفة إن كان النّداء ينبع حقيقةً من إيحاءٍ إلهيّ.

إلى هؤلاء نقول مع القدِّيس توما: «إجابةٌ مليئةٌ بالأخطاء»[٢]. فالرّغبة الدّاخليّة، الخالية من المصلحة الذّاتيّة، لاعتناق الحالة الرّهبانيّة هي نداء إلهيّ حقيقيّ، لكونها رغبة تفوق الطّبيعة، ويجب اتّباعها في الحال؛ إنّ كلمات المسيح في الكتاب المقدّس صالحة اليوم كما أمس. النّصيحة الّتي تقول: *«إن أردت أن تصير كاملًا، اذهبْ وبِعْ كلَّ مالك وأعطه للفقراء»* (متَّى ١٩/٢١)، كان المسيح يوجِّهها لِكلِّ البشر في كلِّ زمانٍ ومكان: *كلُّ من ترك بيتًا أو إخوة... من أجل اسمي، يأخذ مائة ضعفٍ ويرث الحياة الأبديّة*. وهكذا يجب على الجميع، حتَّى في يومنا هذا، أن يستقبلوا تلك النَّصيحة كما لو كانوا يسمعونها من شفتيْ الرّبِّ نفسه. ومَن يأخذ قراره تبعًا لذلك، يمكنه أن يفكِّر – بطريقةٍ شرعيّةٍ – أنَّه تلقَّى دعوة رهبانيّة حقيقيّة. يقول القدّيس إيرونِمُس في هذا الشّأن: «أمَّا وقد سمعت قول المُخلِّص: *‹إن أردت أن تكون كاملًا، اذهب وبِعْ كلَّ مالك وأعطه للفقراء ثمَّ تعالَ واتبعني›*، ترجمْ هذه الكلمات إلى أفعال، وباتِّباعك عاريًا الصّليبَ العاري ستصعد بسرعةٍ أكبر سلَّم يعقوب»[٣].

هذه المشورة الّتي أعطاها المسيح، هي مشورة إلهيّة للجميع. *«ما أقوله لكم أقوله للجميع»* (مر ١٣/٣٧) كما قال للجموع، *«لأنَّ كلَّ ما سبق فكُتب، كُتب لأجل تعليمنا»* (روم ١٥/٤). من الخطإ الاعتقاد أنَّ تلك الأشياء كانت ذات قيمةٍ فقط في زمانها[٤]. «لو كانت كلّ تلك الأشياء قد أُعلنت فقط من أجل معاصريها، لَما كانت قد كُتبت أبدًا. لذلك أُعلِنت لهم بالكرازة، إنّما كتبت من أجلنا نحن»[٥]

---

[١] الموضوع من دليل الدعوات التابع لرهبنة الكلمة المتجسد

[٢] **القديس توما الأكويني**، «الرّدّ على التّعليم الضّارّ للمُحرّضين للبَشر على عدم الدّخول في الحياة الرُّهبانية»، **رت ض- CPD**، (بيونس آيرس ١٩٤٦)، ١٨.

[٣] ذكره **القدّيس توما الأكويني** في: **رت ض- CPD**، الفصل ٩؛ ذُكر في «نبذة لاهوتية» (Opuscula Theologica)، المجلَّد الثّاني (تورينو ١٩٧٢)، ١٧٣.

[٤] راجع عب ١٢/٥.

[٥] **القدّيس يوحنا الذّهبيّ الفم**، ذكره **القدّيس توما الأكويني** في **رت ض- CPD**، ٨١.

ب) الله يحثُّنا على اعتناق هذا الخير من خلال نداءٍ داخليٍّ

الوسيلة المُعتادة، الّتي يُنشئ الله بها الدّعوات تكون داخليّةً بواسطة إيحاءات الرّوح القدس الإلهيّة إلى النّفس. وهي وسيلة تسبق أيَّة كلمةٍ خارجيّة حيث إنَّ «الخالق لا يفتح فمه لتعليم الإنسان دون أن يكون قد كلّمه من قبل بمسحة الرّوح»[٦]. وبالتّالي يكون النّداء الدّاخليّ[٧] نداءً حقيقيًّا من الله وطاعته واجبة في الحال كما لو كُنّا نسمعه بصوت الرّبّ.

من مميّزات النّداء الإلهيّ دفعُ البشر إلى أشياء أكثر عُلُوًّا. لذلك لا يمكن للرّغبة في الحياة الرُّهبانيّة أن تَصدر عن الشّيطان أو الجسد، لِكَونها على درجة عظيمة من السُّموّ والارتفاع. «كم تختلف تمامًا عن أحاسيس الجسد تلك المَدرسةُ التي فيها يُسمَع الآب، والتي تُعَلِّم الطّريق للوصول للابن. وإنها لا تَعمل ذلك من خلال آذان الجسد بل من خلال استماع القلب»[٨].

إنَّ نداءً من الله كهذا لَهو الأساس ذاتُه الذي يرتكز عليه كلُّ البناء؛ فكما قال البابا بيوس الثاني عشر «الدّعوة الرُّهبانيّة والكهنوتيّة التي تسطع ببهاءٍ سامٍ وتَحفَل بِميزات طبيعيّة وميزات فائقة للطّبيعة (...)، لا يمكن أن يكون لها مصدر آخر سِوى أبي الأنوار، الذي منه تأتي كلّ عطيّة صالحة وكلّ نعمة كاملة (راجع يع ١/١٧)»[٩].

«علينا أن نطيع الأصوات الدّاخليّة التي يُحرِّك بها الرّوح القدس النّفس، دون تردُّدٍ ولو لِلَحظة، ودون مقاومةٍ لأيِّ سببٍ»[١٠]، *«الرّبّ فتح أُذنيّ وأنا لم أقاوم ولا رجعت للوراء»* (أش ٥٠/٥)، متذكّرين أنَّ كلَّ مَن يَنقادون من روح الله، فهُم أولادُ الله لِأنّهم يكونون «المُنقادين بدفعة النّعمة»[١١]. علينا أن ننتبه إلى نصيحة القدّيس بولس: *«اُسلكوا بحسب الرّوح»* (غلا ٥/٢٥)، لنكون رجالَ مبادئ فائقةٍ للطبيعة، يَنقادون فقط بروح يسوع المسيح الذي هو الرّوح القدس، منفِّذين نداءه على عجلٍ. لِئلَّا نضطرَّ للأسف مثل القدّيس أَغُسطينُس الذي قال: «مُقتنعًا بالفعل من الحقيقة، لم يَسَعْني إلَّا أن أُجيب سوى بكلماتٍ واهية وغافلة: لاحقًا، نعم، لاحقًا، وصارت عِبارة ‹أُتركني وقتًا قليلًا آخر› متأخرة

---

[٦] **القدّيس غريغريوس الكبير**، «العظة حول العنصرة»، ذكره **القدّيس توما الأكويني في رت ض- CPD**، ٨٣.

[٧] النّداء الدّاخليّ يطلق عليه البابا بيوس الحادي عشر اسم «دَفعَة» في الإرشاد الرّسوليّ «Rerum Ecclesiae»، ٦. «ليس من النّادر أن يسمع (الشّباب) داخل قلوبهم صوت الله السِّرِّي الذي يدعوهم إلى الأسرار المقدَّسة» (البابا بيوس الحادي عشر، Mens Nostra، ١٧).

[٨] **القدّيس أغسطينس**، «بحث حول بشارة القدّيسين»، ذكره **القدّيس توما الأكويني في رت ض- CPD**، ٨٣.

[٩] **م ح – SS**، ٢.

[١٠] **القدّيس توما الأكويني**، رت ض- **CPD**، ٨٣.

[١١] **القدّيس أغسطينس**، ذكره **القدّيس توما الأكويني في رت ض- CPD**، ٨٤.

جدًّا... كنت أخجل كثيرًا لسماعي هَمس تلك التّفاهات (العالميّة والجسديّة) التي كانت تُبقيني مُتردِّدًا»[١٢].

إنَّ مَن يَستبعدون دعوةً لِشكِّهم - على وجهٍ غير معقول- في النّداء الإلهيّ، عليهم أن ينتبهوا لذواتهم كما لو كان الأمر يتعلَّق بجريمة كبرى، ذلك بأنَّهم يُبعدون نفسًا عن المشورة الإلهيّة؛ هؤلاء يجب أن يستمعوا لصدى كلمات القدّيس بولس: *«لا تُطفئوا الرّوح»* (١تس ١٩/٥): «إن كان الرّوح القدس يريد أن يعلن شيئًا لأحدهم في أيّ وقتٍ، فلا تمنعوا هذا من أن يفعل ما يشعر به»[١٣]. وبالتّالي عندما يكون إنسانٌ مدفوعًا للدخول في الرّهبنة بإلهامٍ من الرّوح القدس، فلا يجب إيقافُه، بل ينبغي تشجيعُه على الفور ومرافقتُه لكي تتحقَّق هذه الدَّفعة بطريقةٍ ملموسةٍ. إنَّ ذلك التّصرُّف لَشيءٌ مؤسفٌ ويستحقّ المَلامة، يقوم به أولئك الّذين يؤخِّرون دعوةً داخليّةً؛ مِثلُ هؤلاء يقاومون الرّوح القدس، *«أنتم تقاومون الرّوح القدس دائمًا»* (أع ٥/٧).

ج) متى ومع مَن يجب التّشاور بخصوص الدّعوة

لا يجب على مَن أُلهِموا بِالرّغبة في الدّخول إلى الرّهبنة أن يَشُكُّوا في دعوتهم[١٤]. ويمكنهم طلبُ المشورة فقط في حالتين: الأولى بخصوص طريقة الدّخول، والأخرى بخصوص عائقٍ ما قد يَتبادَر إلى ذِهنهم إذا اتَّخذوا الحالة الرُّهبانيّة. في تلك الحالات، يجب دائمًا استشارة أناسٍ ذَوي فطنة، يمكنهم أن يساعدوا على تمييز مشيئة الله، بحكمٍ فائقٍ للطّبيعة (وليس نتيجةَ هوًى). لا يجب أبدًا أن يُستَشار الأقارب، حيث إنّهم في هذه الحالة لا يُعتَبرون من فئة الأصدقاء، بل بالأحرى من الأعداء فيما يختصّ بالدّعوة، بحسب قول النّبيّ ميخا: *«أعداء الإنسان أهل بيته»* (٦/٧)، وهي عبارة يذكرها ربُّنا في إنجيل متَّى (٣٦/١٠). الاستشارة يجب أن تكون فقط مع مرشدٍ أو مُعرِّفٍ حكيم وفَطِن. *«اِذهب للتشاور عن القداسة مع الرّجل غير التّقيّ وعن البرّ مع الأثيم... لا تأخذ مشورة هؤلاء حول هذا الأمر، بل بالأحرى تَعاملْ دائمًا مع رجل التّقوى»* (سير ١١/٣٧ج – ١٢أ)

إليه يجب طلب المشورة إذا كانت هناك حاجة للاستشارة في تلك الحالة.

د) أعداء الدّعوة

---

[١٢] **القدّيس أغسطينس**، «اعترافات» ٦/٨ ، ذكره **القدّيس توما الأكويني** في رت ض- **CPD**، ٨٥.

[١٣] حاشية، ذكرها **القديس توما الأكويني** في رت ض- **CPD**، ٨٤.

[١٤] يقول **القدّيس يوحنا بوسكو**: «يبدو لي أنَّ القول بِأنَّ التّعرف على الدَّعوة صعبٌ خطأٌ خطير. فالرَّبُّ يضعنا في ظروف تجعلنا لا نملك إلَّا أن نتقدَّم إلى الأمام، وعلينا فقط أن نستجيب له. من الصّعب التَّعرُّف عليها عندما لا نرغب في التّباع، عندما تُرفض الإلهامات الأولى. هنا تتعقَّد بَكَرة الخيط... أُنظروا: عندما يكون المرء متردّدًا حول دخوله في الرَّهبنة من عدمه، فأنا أقول لكم بلا مواربة أنَّ ذاك كان لديه دعوة؛ وأنَّه لم يتبعها في الحال والآن هو مُشوَّش وحائر» (ر. **فيرُو**: «حياة وكتابات القدّيس يوحنّا بوسكو» [مدريد ١٩٦٧]).

إن كان أعداء الدّعوات للحياة المكرّسة قد وُجِدوا دائمًا، فكم بالأحرى في أيَّام الإلحاد الفَجّ الحاليّة؛ فهو إلحادٌ مُناضلٌ ضدّ الدّعوات لِكونها من روائع الله. كانت هناك هرطقتان في هذا الشّأن: واحدة لِ«چوڤِنْيانو» (عاش في روما ومات سنة ٤٠٦) الذي كان يُساوي بين الزّواج والبَتوليّة؛ والأخرى لِ«ڤيچيلانسيو» (عاش في بلاد الغال ومات سنة ٤٩٠) الذي كان يساوي بين الثّروات والفقر. كِلاهما لديهما العامل المشترك التّالي: يُبعِدان البشر عمَّا هو روحيّ، فيستَعبِدونهم للأشياء الأرضيّة. هذا ما يفعله الشّيطان بِواسطة البشر الجسديّين: مَنع النّاس من التَّحوُّل في اتِّجاه الحياة الأبديّة.

الچوڤِنْيانِيّون والڤيچيلانسِيّون يَظهرون من جديد ويُبعدون البشر عن الحياة الرُّهبانيّة وعن الدّعوات إلى الحياة المكرّسة، بآلاف الوسائل وبكلِّ خبثٍ. وهي محاولة فاسدة نجد لها سابقة في تصرُّف الفرعون الذي انتهَرَ موسى وهارون لرغبتهم في إخراج الشّعب المُختار من مِصر: «*لماذا تُعَطِّلان الشّعب عن أعماله*» (خر ٥/٤). يعلِّق أوريجانُس على ذلك قائلًا: «اليوم أيضًا إذا حثَّ موسى وهارون - أيْ صوتٌ نَبَويٌّ وكهنوتيٌّ - نفسًا إلى خدمة الله، إلى الخروج من العالم، إلى التّخلِّي عن كلِّ ما تَملك، إلى تكريس ذاتها لدراسة شريعة كلمة الله، ففي الحال ستسمعون أصدقاء الفرعون، الذين يفكّرون مثله، يقولون: «أُنظروا كيف يَستغوُون البشر ويُفسدون المراهقين. كانت هذه كلمات الفرعون آنذاك، وهي نفسُها الّتي يكرِّرها أصدقاؤه»[١٥].

هـ) خصائص الرَّدّ على النّداء

إنها ثلاث خَصائص رئيسيّة:

بِسرعةٍ،

بِكرمٍ،

بِبُطولةٍ.

بسرعةٍ تعني تنفيذ ما يطلبه الله على عجلٍ، وعدم تأجيل التّنفيذ، «فالحسابات البطيئة غريبة على نعمة الرّوح القدس»[١٦]. يجب الرّدّ بدون مماطلة. الحكمة الشّعبيّة كذلك تعلِّمنا: «لا تؤجِّل عمل يومِكَ إلى غَدِكَ». كما يقول القدّيس يوسف ماريا پيمان في «المُتَعجِّل الإلهيّ»:

«القرارات العظيمة،

كيما تنجح أفضل،

يجب أن تُؤخَذ دون انتظار،

أن تُتَمَّم سريعًا...

---

[١٥] ذكره القدّيس توما الأكويني، رت ض- CPD، ١٨.

[١٦] القدّيس أمبروزيس، «بحث حول إنجيل لوقا» (مدريد ١٩٦٦)، ٩٦، ١، ٢، رقم ١٩.

إنَّني، يا سيِّدتي، أُفضِّل
الهواء على النَّسمة صديقًا،
فيجب عَمَلُ الخير على عجلٍ،
فالشّرّ لا يُضيع لحظة».

الفرصة مثل الحديد الذي يجب أن يُطرَق ساخنًا.

الذين يؤجّلون باستمرار اتّباع نِداء الله، يجدون أنفسهم في الحالة المؤسفة لِلنفس، تلك التي يصفها ‹لوپيه دي ڤيجا› جيّدًا بقوله:

«كم مِن مرَّةٍ قال لي الملاك:
تطلَّعي الآن يا نفسي من النّافذة،
سترين كم يدعوك بحبٍّ وإلحاحٍ،
وكم من مرّةٍ، أيّها الجمال السّامي،
كنت أجيب: غدًا نفتح له،
لِأعودَ وأُجيب غدًا بِنفسِ الإجابة!»[١٧]

القدّيسون استجابوا بسرعة. كان هذا حال إبراهيم[١٨]، وكذلك صموئيل: «*تكلَّمْ يا رب، فإنَّ عبدك يسمع*» (١ صم ٣/١٠). ونقرأ في إنجيل لوقا أنَّ بطرس وأندراوس، بمجرّد أن دعاهم الرَّبُّ، «*في الحال تركوا الشّباك وتبعوه*» (٤/٢٩). يقول القدّيس يوحنا ذهبيّ الفم في مديحه: «كانوا في مِلء العمل؛ ولكنْ عند سماعهم لِمَن كان يدعوهم لم يُماطلوا، ولم يقولوا: لِنَعُدْ إلى البيت ونتشاور في الأمر مع أصدقائنا، بل تبعوه تاركين كلَّ شيءٍ... يريد المسيح منّا طاعةً مماثِلة، بحيث لا نتأخَّر ولو لِلحظة». على عجلٍ مثل يعقوب ويوحنّا اللّذَين تركا في الحال الشّباكَ وأباهما في المركب وذهبا وراءه؛ مثل القدّيس متَّى الذي عند سماعه نداء الرّبّ «*قام وتبعه*» (٩/٩)؛ مثل القدّيس بولس، في نفس اللّحظة... «*في الحال، دون طلب مشورةٍ من أحدٍ*» (غلا ١/١٧)؛ مثل العذراء كليَّةِ القداسة عند معرفتها مشيئة الله: «*لِيَكن لي بحسب قولك*» (لو ١/٣٨)، وتوجَّهت «*مُسرعةً*» (لو ١/٣٩) إلى بيت أليصابات.

بالنّسبة لموضوع الدّعوات ينبغي اتّباع نصيحة القدّيس إيرونِمُس: «أرجوك أن تُسرع؛ بل اِقطع بِالأحرى الحبل الّذي يربط المركب بالشّاطئ بدلًا من أن تَحُلَّه»[١٩].

بِكرمٍ، أيْ بِكمالٍ: «*تَرْكُ كلّ الأشياء*» (لو ٥/١١). وتَرْكُها بِتصميمٍ: «*ما مِن أحدٍ يضع يده على المحراث، ثمَّ يلتفت إلى الوراء، يَصلُح لملكوت الله*» (لو ٩/٦٢).

---

[١٧] «سُطور مقدّسة» (Rimas Sacras)، المقطع ١٨.

[١٨] راجع تك ١٢/٤؛ ١٧/٣؛ ٢٢/٢-٣.

[١٩] ذكره **القدّيس توما الأكويني** في «الخلاصة اللّاهوتيّة»، خ ل – **.S.Th**، ٢-٢، ١٨٩، ١٠.

يقول البعض إنَّ لديهم رغبة في خدمة الرّبّ، ولكنّهم يضعون شروطًا: *«يا ربّ، ائْذَن لي أن أمضي أوّلًا فأدفنَ أبي. فقال له يسوع: اِتبعني ودَعِ الموتى يدفنون موتاهم»* (متّى ٨/٢١-٢٢).

الرّبّ يريد التّسليم التّام. يريد قلبَنا غيرَ مُتحفِّظٍ وغيرَ مُنقسِمٍ.

البطولة هي استعداد الّذين يرغبون في اتّباع المسيح بالحقيقة، بطريقةٍ تجعلهم، كما يقول القدّيس بولس، *«يَرغبون في الموت ليكونوا مع المسيح»*[٢٠]، وكما يقول القدّيس توما: «لا يرتدُّون إلى الوراء أمام المَهامّ الصّعبة، ولكنَّها التي تقود إلى مجد الله وخلاص النّفوس».

[٢٠] راجع فيل ١/٢٣.